مصادرة الارض

انطلاقاً من النظر الى السياسة الاسرائيلية في مجال الاستيطان كـ «وحدة متكاملة»، يجدر القاء الضوء، ولو سريعاً، على النظرة الاسرائيلية للارض الفلسطينية المحتلة، بتشابكاتها التوراتية، والسياسية، والاقتصادية، والأمنية والتي تشكّل، في المحصلة، الخطوط العامة لرسم السياسة العملية على الارض، حتى وإنْ أصرّ البعض على اعتبار بعض الافكار، «شطحات» للخيال الصهيوني الطامح الى الهيمنة النهائية على كل ما يمكن الحصول عليه بواسطة العنف، أو من طريق العمل السياسي، أو السيطرة الاقتصادية. ففي أعقاب حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧، كتب رؤوفين آفي ـ نوعام يصف مشاعره: «شعرت بأن فصلاً جديداً من الكتاب المقدس هو قيد الكتابة هناك، فصلاً عظيماً ورائعاً وخيالياً مثل الفصول السابقة، القدس، اريحا، الخليل، نابلس، أصبحت الارض الموعودة بأكملها بين أيدينا... شعور رائع بالمجد القديم يولده الذهاب والاياب عبر البلاد وتوسيع حدودها الى أماكن كان يجب ان نكون قاطنين فيها منذ زمن بعيد، ' أرض ـ اسرائيل ' ، أرض الاجداد تكتسب اهميتها الحقيقية»[٢].

هذا المزيج من المشاعر الدينية والشعور بالعظمة للسيطرة على «أرض الرؤيا السحرية بكاملها»[٣]، دفع، منذ البداية، قطاعاً واسعاً من الاسرائيليين للتقرير بأنه تمّ استكمال الوصية الالهية، وتنفيذ قانون الرب في «أرض ـ اسرائيل التي عادت» الى مالكيها الشرعيين... [وان] «هذا هو قانون سلامة الارض الوطنية الذي رفعه فلاديمير جابوتينسكي كراية، والذي كان جميع اتباعه يعتنقونه وما زالوا. هذا القانون ليس قانون حركة قومية، أو حزب سياسي، بل هو قانون سيدنا موسى، وانه قانون الله... وكل مَنْ يكون مستعداً لنبذ هذه الوصية في الشريعة ينكر جوهرها ويستهزىء بها»[٤].

ومن الاستثارة الدينية، والاحساس بالواقع الجديد المتشكل، تمّ اعتبار «ان كل منطقة من أرض ـ اسرائيل جرى غزوها في غمار الحرب التي بدأها جيران اسرائيل ستعتبر قانونياً كمنطقة محررة، وحقوقنا فيها لا تقل عن حقنا في النقب أو في الجليل أو في الشارون أو القدس... [وواجب التمسّك] بكل قطعة أرض يجرى تحريرها تفرضه اعتبارات الامن، اعتبارات نابعة من واجبنا نحو وجودنا ومستقبلنا»[٥].

واضح ما تحمله العبارات السابقة من اشارات نحو مستقبل الارض الفلسطينية المحتلة الذي شرع الاسرائيليون في تشكيله منذ العام ١٩٦٧. غير ان مقالة اسحق تابنكين أحد مؤسسي حزب «احدوت هعفودا» (وحدة العمل) تحمل قدراً أعلى من التحديد، وتبياناً للخطوات العملية. كتب تابنكين: «الاستيطان الفوري، والتنمية المباشرة للمناطق المحررة. ان هدف مشروعنا كله كان وما زال، أرض ـ اسرائيل بكاملها، بحدودها القديمة ـ الطبيعية، من البحر الابيض المتوسط الى الصحراء... ومن لبنان الى البحر الاحمر، وذلك بصفتها الوطن المتجدد لجميع أفراد الشعب اليهودي أو معظمهم... النضال السياسي ليس الاّ شكلاً آخر من أشكال الصراع على الوجود، وينبغي شنه دون اخفاء لمحتواه الصهيوني، يجب ان يظهر المتكلمون باسم دولة اسرائيل بصفتهم مندوبين عن الحاجات التاريخية ليهود العالم كله، كما يجب ان يسمع اصدقاؤنا واعداؤنا معاً من أفواهنا وبلغة واضحة ان كل ما يمكن تنميته في رقعة الارض التاريخية لاسرائيل الموجودة بين أيدينا ينبغي تكريسه للهجرة اليهودية التي تشكّل، في نظرنا، انقاذاً لليهود»[٦].